جمجمة ليرى ما اذا كانوا مصيبين او مخطئين. واذا استدلوا على امر من الامور بتشريح المقابلة او بمباحث علم الفسيولوجيا او البيولوجيا او الانثروبولوجيا او الاركيولوجيا نظر في استدلالهم بعين الناقد البصير لانهُ من اكبر الثقات في هذه العلوم وامثالها. وليضفْ ما اثبتناهُ في هذه المقالة الى ما اثبتناهُ قبلاً من اقوال زعماء المذاهب العلمية الذين لهم وحدهم القول الفصل في هذه المباحث. وسنوافي القراء الكرام دائمًا بما نعثر عليهِ من الاقوال الحديثة والمختبرات الجديدة

العلم والخلود

مالكَ زيد بحق الارث ملكًا وسيعًا فيهِ سهول فيحاء واشجار غياء ومياه غير وخيرٌ كثير وفيما كان يتمتع بهِ هو وابوهُ قيل لهم ان المُلك ليس لكم والارث مطعون فيهِ فرايهم الامر وخافوا العاقبة واخذوا يضربون اخماسًا لاسداس ويعد اللتيا والتي قال بعضهم ان المُلك لنا بحق شرعي وقد تمتع بهِ آباؤنا واجدادنا من قبلنا فلا عبرة بما يتقولهُ الناس ولا بما يطعنون بهِ على حنظ. وقال البعض الآخر ان الايام يلدنَ العبَر ومامن صناع لم يخبهُ كدر. فقد نقوى حجة الخصوم فينتزعون منا ملك آبائنا واجدادنا ويجعلوا يفتشون عن الادلة والاسانيد التي تثبت حقهم وتنفي دعاوى غيرهم حتى اذا عثروا بدليل على منها استوفوهُ واستجلوهُ وعلقوا بهِ عُرى الآمال

وهذا شأن كثيرين في امر الخلود والمعاد فان اكثر ابناء هذا الجيل ينشأون على ان الخلود امرٌ محتوم وان النفس تفارق الجسد وتغادر هذه الدار الفانية لتتمتع بنعيم الدار الباقية. والحياة الدنيا من المهد الى اللحد استعداد للحياة الاخرى. وهذا الاعتقاد اعزُّ ما تملكهُ وهو المعزّي لنا عن تحمُّل اسواء الحياة وفراق الاحباء والولاة لكانت الحياة الدنيا لغوًا لا معنى لهُ ومشقة على غير جدوى. وفيما النفوس مطمئنة بهذه الآمال وساعية على هذا الرجاء قام الفيلسوف جون ميل وغيرهُ من كبار العلماء وبيّنوا بادلة كثيرة ان قوانا العقلية ناتجة من حركة دقائق اجسامنا كما ان الحرارة تحدث من حركة دقائق المادة وان النفس التي نحسبها خالقة بعد فناء هذه الاجساد قد لا تكون الا حركة في دقائق الدماغ. فانهُ ليس من اساس علمي لما نعتقدهُ من امر الخلود والمعاد. وذاعت هذه الاقوال في اوربا واميركا وصدّق لها كثيرون وبلغت بلاد المشرق وشاعت فيهِ وكدّرت صفاء البعض من اهليهِ

فجعلوا يبحثون عن الادلّة العلميّة الّتي يثبت بها الخلود والمعاد وتنفى الشّبهات الّتي التهم على مثل شوك القتاد كما ترى من اقتراحهم علينا المرة بعد الاخرى ان نثبت لهم ما يقوله العلماء الطبيعيون والفلاسفة المعاصرون في هذه المسألة الخطيرة

وقد سألنا احد الادباء عمّا اذا كان التنويم المغنطيسي لا يدلّ دلالة قاطعة على خلود النفس واتفق اننا قرأنا في هذا الموضوع كلامًا وجيزًا لاحد الكتاب المحدثين قبل ورود السؤال علينا ببضعة ايام فرأينا ان نلخّص ما كتبه لعلّ فيه مقنعًا لمن خامرت نفسه الشكوك او لمن رام ان يجد لمعتقده سندًا علميًا يلجأ اليه اذا ثارت في وجهه عواصف الاوهام

قال الذكي ينبغ انه يستحيل على الانسان ان يعرف مادّة كواكب السماء اذ لا امل ان تبلغ اليها او تبلغ الينا ولم يمضِ على هذا القول الاّ برهة وجيزة حتّى صنع السبكترسكوب واستدللنا به على مادّة الكواكب من النور الواصل الينا منها. وجرى مثل ذلك للفيلسوف جون ميل فقد عرضت له هذه المسألة لمّا كان يتفحّص فلسفة السر وليم هملتون وهي أيمكن العقل ان يشتغل بموضوع والانسان غير شاعر بذلك. فاجاب انه لا يمكن الحكم في ذلك سلبًا ولا ايجابًا لانه خارج عن دائرة الامتحان. اما الآن فكل من رأى انسانًا نائمًا النوم المغنطيسي يعلم ان عقله يشتغل بمواضيع كثيرة ثم اذا افاق ظهر انه غير شاعر بها. وقد ثبت بالامتحان ان لبعض الناس وجدانَيْن مستقلين الواحد عن الآخر فيتذكر بكلٍّ منهما ويعمل اعمالاً عقليّة كثيرة لا يشعر بها وهو في الوجدان الآخر ومفاد ذلك كلّه ان الوجدان الذي نشعر به عادةً ليس كل وجداننا بل هو جزء منه وانه اذا نام الواحد منا النوم المغنطيسي انتبه جانب آخر من وجدانه وصار كأنه انسان آخر. فما في نسبة الوجدان الثاني الى الاول في الكم والكيف وابن يذهب كلٌّ من هذين الوجدانين عند استيقاظ الثاني وهل يحق لنا ان نحكم بان الوجدان الذي لا نشعر به في اليقظة ساكن غير فاعل كأنه في حكم العدم وعلى مَ لا يكون وجداننا الذي نعيش به في هذه الحياة جزءًا صغيرًا من نفوسنا. ونحن لا نشعر بافعال الجزء الاكبر من نفوسنا كما ان المستيقظ لا يشعر بافعال نفسه لمّا كان نائمًا النوم المغنطيسي

ثم اذا ثبت ما يُروى عن بعض الّذين ينامون النوم المغنطيسي من انهم يعلمون الغيب ويذكرون امورًا كثيرة لم يسبق لهم علمٌ بها كان ذلك من اقوى الادلّة على ان النفس غير محصورة في الجسد وغير مقتصرة عليه في تحصيل معارفها. فان المثبت حتّى الآن عند العلماء والفلاسفة هو ان جميع معارف النفس واردة اليها عن طريق المشاعر الخمس ولكن اذا انعم القارئ نظره في الحادثة الغريبة الّتي اوردناها في الجزء الماضي من المقتطف عن

الفتاة الاسترالية التي وُضعت في يدها رجل تمثال من النحاس وهي نائمة النوم المغنطيسي فانبأت بتاريخ ذلك التمثال من حين كان فلزًا في الارض الى ان بيعت رجلة في الاسواق بالاسكندرية منذ بضع سنين وذكرت ما يدل على انه كان وقتًا ما بين اصنام هيكل تل بسطه المشهور الذي لم يبقَ منهُ الى يومنا هذا الاَّ انقاض ورضام — اذا تأمل ذلك بعين البصيرة لم يجد مندوحة عن الحكم بان نفس تلك الفتاة قد علمت كل ما ذكرته عن هذا التمثال على اساليب اخرى غير اساليب العلم المعروفة . واذا كانت النفس غير محصورة في الجسد ولا مرتبطة به دائمًا فكيف يحق لنا ان نحسب انها تموت بموته وتزول بانحلاله

ولا يخفى ان الحادثة المشار اليها تفتقر الى الاثبات وكذا كل الحوادث التي من نوعها وهي كثيرة في كل مكان وزمان . فان ثبتت صحتها كانت اقوى دليل على الخلود وان لم تثبت علميًّا فامر الوجدانيين وعلم المنوّم بامور لا يعلمها وهو مستيقظ او عدم شعوره وهو يقظان بما علمهُ وعمله وهو نائم — كل ذلك قد ثبت بالامتحان ولم تبقَ فيهِ ريبة وهو يدلُّ دلالة قاطعة على ان للنفس مدارك أُخرى غير مداركها الظاهرة في حال اليقظة

ثم اذا ثبت ما شرحناهُ في غير هذا المكان من امر التخيلات والخيالات في شعور الاحياء بالاموات وما ذهب اليهِ الاستاذ لمبروزو الايطالي وهو ان الفكر قوة تنتقل في الكون كما ينتقل النور والحرارة انفتح امامنا باب جديد ومجال واسع للبحث والاستدلال ويزيد هذا المجال اتساعًا اذا التفتنا الى البديهيات وما يأتيهِ بعض الناس من الغرائب عند حلهم للمسائل الرياضية المعضلة ولاسيما اذا حلوها وهم نيام لا يشعرون بشيء مما فعلوهُ ثم استيقظوا ولم يعلموا انهم هم الذين حلوها فقد يحتمل ان نفوس غيرهم اثرت في نفوسهم فتمكنوا من حل تلك المسائل . وقد اشار افلاطون الى شيء من ذلك حيث ذهب الى ان الحقائق الهندسية تدركها النفس لانها تعلمتها من عالم آخر قبلما حلت في هذه الاجساد

وقد ذكرنا في المجلد الحادي عشر من المقتطف في الكلام على "العلم في دار الفلسفة" ان العلماء اخذوا يبحثون في هذه المسائل الفلسفية بحثًا علميًّا مبنيًّا على الاستقراء والامتحان . ولما اجتمع مؤتمر الفلاسفة في باريس منذ سنتين بحث في امر التخيلات وما اشبهها وعقد النية على استطراد البحث فيها وحتى الآن لا يمكن الجزم بانهُ قد ثبت علميًّا ان للاموات علاقة بالاحياء ولكن البعض يرجحون ان ذلك صار في حكم الثابت واذا ثبت فالخلود اثبت علميًّا فضلاً عن ثبوته دينيًّا وفلسفيًّا

ولا يخفى ان الانسان ابن الامس فلم يوجد على هذه البسيطة الاَّ منذ آلاف قليلة من

السنين ولم يتنبه الى تدوين معارفهِ الاَّ منذ ثلاثة آلاف سنة وهذه المدة لا تحسب شيئًا في تاريخ الارض وما عليها من الموجودات . فالجرادة التي تدوسها برجلك وُجدت على الارض قبل ان وجد عليها نوع الانسان بالوف الوف من السنين والزوفا النابت في الحائط كان في الارض قبل الانسان بما لا يحصى من القرون هذا ناهيك عن حداثة المعارف فالقوة البخارية موجودة في الارض من حين انفصالها عن الشمس ومع ذلك لم يتنبه الانسان اليها الاَّ منذ اثني سنة ولم ينتفع بها الاَّ منذ مئة سنة . والقوة الكهربائية كانت في الارض وهي جزء من سديم الشمس ولكنَّ الانسان لم يستفد منها الاَّ منذ اربعين او خمسين سنة . فما ادرانا ان العقل يقف عند هذا الحد او ان الانسان ينقرض قبل ان تمرَّ عليهِ الوف من السنين . واذا اتيح للانسان ان يعمِّر في الارض عشرة قرون اخرى فقط و بقيت معارفهُ تتقدم على النسبة التي تقدَّمت فيها في القرن الاخير فمن يعلم الحد الذي تبلغ اليهِ

هذا واننا نكرر ما ذكرناهُ سابقًا مرارًا عديدة وهو ان ادلة الخلود الدينية كثيرة في جميع الاديان والمذاهب وهي تحتم بان الخلود امر لا ريب فيهِ . وقد رسخ في الاذهان ان العلوم الطبيعية تنفي الخلود او لا تتعرَّض لهُ بنفي ولا اثبات فاثبتنا في مقالتين سابقتين وفي هذه المقالة انهُ قد يمكن الاستدلال على الخلود بالعلوم الطبيعية نفسها وهذا من جملة منافعها العميمة

التمدن والانتحار

بقلم جناب شكري افندي اسبيرو

كثر الانتحار في هذا العصر في البلاد المتمدنة كثرةً اقلقت الافكار وازعجت الخواطر حتَّى لا يمضي يوم الاَّ ويُسمع فيهِ باخبار الذين انتحروا اما شنقًا او رميًا بالرصاص او غرقًا او بسمًّا فبحث كثيرون عن اسبابهِ وعن ابواب التخلُّص من شرهِ فجمعوا الاحصاءات ونظروا فيها ملِيًّا وكتبوا المقالات وألَّفوا الكتب حتَّى صار امر الانتحار من المواضيع المهمَّة في هذه الايام فجمعت هذه المقالة معتمدًا فيها على اقوال احد الكتبة المشهورين وهو الدكتور وليم مانيوس فاقول

ذكرت احدى جرائد بوستن اليومية لقد وجد بالاحصاء منذ تسع سنين انهُ ينتحر من الاوربيين في السنة واحد من خمسة آلاف وبما ان عدد اهالي اوربا الآن ثلثمئة مليون فيبلغ عدد المنتحرين منهم في السنة ستين الفًا وهذا يفوق عدد القتلى والجرحى في أهوَل المعارك